النجف وارأى امام

— ٢ —

بقلم : الاستاذ مهدي المخزومي

اتى على النجف حين من الدهر كانت فيه قبلة الرواد من اهل العلم ، يؤمها منهم مئات ، ويتركها بعد ان يتزودوا منها مئات ، يؤمها طلاب العلم من سوريا ولبنان ويؤمها طلاب العلم من الهند وايران وافغانستان . وكانت النجف الى عهد قريب — كنت قد شاهدته ووقفت على اخباره — خاصة مجالسها بالبحث والجدل والمناقشة ملأى جوامعها بحلقات التدريس في فروع الثقافات المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ، ومن منطق وكلام وفلسفة ، ومن فقه واصول فقه ، ومن هيئة — وهي الجغرافيا الفلكية القديمة — وحساب وجبر ، ناهيك عما كان يزين محافلها من شعر وادب .

كانت النجف كذلك الى عهد قريب ، وكانت النجف اذ ذاك مكهربة الجو علماً وأدبا لا يدخل اليها داخل حتى يصبح وكله رغبة في طلب العلم وتحصيله .

اما الآن فقد حل السكون محل الصخب النافع القائم على الجدل والمناقشة ، وقد حل الكلام عن الامور التافهة محل تلك المسائل التي كانت تعرض فتتلاقفها افواه المستمعين شرحا وتحليلا ، وقد حل اشباه الطلبة محل اولئك الفطاحل من اهل الفضل ، ولم يبق في النجف — اذا استثنينا جماعة قليلة — الا تماثيل لا تشبه اسلافها الا من حيث الشكل واصبحت النجف في الدرجة الثانية تقريبا بالنسبة الى المدن العلمية في العراق بعد ان كانت ممتازة لا تطاولها مدينة اخرى مهما كثر اهل العلم بها .

فما ذا نعلل ذلك ؟

أنعلله بضعف الحالة المادية ؟ ومنطق الوضع فيها يحكم بضعف هذا التعليل فحالة النجف المادية الآن اقوى منها بالأمس ، والواردات التي ترد اليها كثيرة جداً لا تكاد عقول طلابها الاولين تصدقها وهي توزع عليها بشكل يضمن لهم — الى حد ما — استمرارهم على طلب العلم دون ان يفكروا في شؤون معاشهم ، واخبار طلابها الاولين تحدثنا ان احدهم لا يكاد يجد قوت يومه ، وان احدهم كان يقتات بالكسر اليابسة من الخبز ، يقضي اكثر حياته العلمية بهذا الشكل وهو راض عنها وعن نفسه وعن الناس .

أم نعلله بظهور المدارس الحديثة وانتشارها ؟ ولكن هذا منطق لا تطمئن اليه النفس لان ظهورها وانتشارها لا ينافي وجود المدارس القديمة ولا يتعارض معه ، واذا كان هناك تنافر بين حقيقتي الدراستين فلماذا نرى الجامع الازهر يصمد هذا الصمود امام التيارات الثقافية الجديدة دون ان يعترف بتهديدها ودون ان يظهر منه ضعف امام قوتها الجارفة ؟؟

ومن اذن له في ذلك وليس لاحد ان يجلس في دار الخلافة على كرسي الاحاجب الحجاب واميرالجيش ..) وقال في فصل الالقاب (.. وتلقب الخلفاء .. منذ لدن ابي العباس الذي اختلف في لقبه فقيل القائم وقيل المهتدي وقيل المرتضى لما غلب عليه السفاح لكثرة ما سفح من دماء بني امية ...) وفي آخر الكتاب فصل واسع في النصائح والآداب التي يجب ان يتصف بها جليس الخليفة ومما قال (.. ودع الشكوى فانها ثقيلة والالحاح فانه من اكبر دواعي الحرمان وعليك بالشكر فانه مادة الاحسان والصبر فانه عدة للانسان وكن اصم عما تسمعه واعمى عما تلحظه وكتوما لما تستحفظه واميناً على ما تحضره ولا تدخل في سر كان مطويا عنك ولا تنصت الى قول كان مستوراً عنك .. الخ وهو بحث يدل على مدى الاستبداد والدكتاتورية التي كانت تشمل القصر العباسي وفي آخر هذا الفصل يمدح المؤلف القائم بامر الله مدحا طويلا جداً يدل على مدى الاخلاص هذا المؤلف ومدى مداراته لهذا الخليفة وشدة تقربه وما في هذا الموضوع من جمال الاجمال اسلوبه البليغ البديع ...

« يتبع »

عبد الحميد الدجيلي

ولما ذا نرى هذا الجامع قد انتفع من التيارات الحديثة فاخذ يلائم بين نفسه وبين الحياة الجديدة ويأخذ من الجديد بمقدار ما يسمح له وضعه ليتسلح به وليسبغ على نفسه ما يتقى به الهجمات . ! ؟

وبقي قويا رافع الرأس ، موفور الكرامة ، قائماً بما عليه من واجب نحو الامة والوطن ، مساهما في خدمة الشعب خدمة تهدف الى رفع مستواه علماً وثقافة .

نحن لا نطمئن في تعليل هذا الانحطاط الى هذا او ذاك ، ولكننا نظن ظناً يقرب من اليقين أنّ السبب في هذا الضعف الذي طرأ على حياة النجف العلمية هو أنّ النجف فقدت القادة الذين يعوّل عليهم في توجيهها توجيهاً صحيحاً ، وفقدت الرأي العام الذي يستند الى اخلاص اولئك القادة .

ظلت النجف تحيا حياتها العلمية بقوة الاستمرار ولكن قوة الاستمرار هذه اخذت تضعف وتتلاشى شيئاً فشيئاً الى ان وقفت او كادت فاصبح طلاب العلم يعنون بالاشكال والمظاهر اكثر مما يعنون بالمعاني والحقائق ، واخذ يدخل في زمرتهم اشباه اميين او اميون حقيقة ولا يملكون من صفات الطلبة الا هيئاتهم ، وهم صفر الاكف من كل لون من الوان الثقافة .

وكيف نرجو منها تقدما او استمراراً وطالب العلم في أمان من رسوب وفي يأس من تشجيع ، واذا لم تحط بالطالب ظروف من هذا او ذاك فلا سبيل الى ان تحصل منه على ما نتوخاه من طلب العلم وتحصيله .

وقليل اولئك الذين يطلبون العلم للعلم نفسه مؤمنين بما آمن به فلاسفة المعرفة من أن المعرفة سعادة وانها لذلك غاية لا تني النفوس الفاضلة تحاول الوصول اليها والحصول عليها .

ان ذلك الاسلوب الحر في الدراسة قد اثر تأثيره العظيم في النجف ، وفي المدن التي كانت ترسل الى النجف بعثاتها وكم نود لو استمر ذلك الاسلوب الدارس لان البلد في حاجة الى ان يشيع فيه هذا الاسلوب العميق ، وان البلد في حاجة الى ان تكثر فيه هذه الدراسة الفردية الحرة التي تتسابق فيها العقول والافكار ، وتتمخض عنها عمليات مركزة عميقة ينتفع البلد بها وبما تتركه من آثار بقطع النظر عن صبغته القديمة .

واني لها بذلك !! فان بذور الجهل قد نمت وافرعت ، وان التبابل قد كاد يعم الافكار وان سوء الظن بالقيادة قد اصبح مسيطراً على نفوس الطلبة سيطرة من شأنها ان تنتزع الثقة وتستأصل جذورها من اعماق النفوس .

* * * *

لقد شعر مرة اهل العلم في النجف بضرورة التفكير في انشاء جامعة علمية تجمع شمل الطلبة وتلم شعثهم ، وترجع اليهم تلك الحيوية التي اضاعوها وفقدوها ، وتحيي فيهم الامل في اعادة ذلك الكيان العظيم الذي كانت ترتكز عليه حياة النجف العلمية ، واجتمع النابهون منهم وتشاوروا فيما بينهم واستمرت المؤتمرات والاجتماعات تعقد هنا وهناك وكان الانسان يشعر اذ ذاك ان الأمل اخذ يحل محل اليأس وان النجف نهضت لاستقبال حياة علمية جديدة لا تقتصر على القديم فحسب وانما تضم اليها عناصر جديدة تأخذ بيدها وترفعها من هذه الهوة العميقة التي تردت فيها .

ولكن .... ولكن الرأي العام — على ما يظهر — لم يكن قويا جارفا لان الطلبة لا يجمعهم رأي عام موحد ، ولا تنتظمهم فكرة عامة موحدة فلم يوفقوا الى تحقيق هذه الفكرة التي كانت هدفهم الاول وسرعان ما انبث فيهم التخاذل فاضعف عزائمهم واضاع الأمل من نفوسهم فشاع فيها اليأس والفتور وما هي الا ايام حتى تلاشت هذه الفكرة الاصلاحية وذهبت مع الريح .

ولم يكن فقدان الرأي العام هو السبب الاول والاخير فان وجود اولئك الاميين المنبثين في صفوف اهل العلم كان عاملا من عوامل الفشل في تحقيق تلك الفكرة فلم يرق لهؤلاء ان تنشأ جامعة علمية اذا تحقق وجودها لم يبق لهم محل فيها لانهم غرباء عنها روحا وذوقا وعقلا .

الشعر والاعدام

— ٤ —

يقلم الاستاذ صادق الجلاد

البيت الرابع :

سلام على الدنيا اذا ماافقدتم بني برمك من راحين وفاد

والبيت من قصيدة ابي نواس التي مطلعها :

اربع البلى ان الخشوع لباد عليك واني لم اخنك ودادى

وهذا المطلع من المطالع التي اوجبت النظر فقد روى ان ابا نواس لما دخل على الفضل بن يحي وانشده هذا المطلع تطير الفضل فلما وصل الى بيت الشاهد استحكم تطيره واشمأز

ولعلهم لايروق لهم تحقيقها لانهم يعتقدون انهم سيفقدون هذه الاموال التي يجمعونها باسم الدين والعلم فكانوا ينظمون الاجتماعات التي يهدفون بهـا الى احباط مساعي المصلحين الذين مازالت اجتماعاتهم منعقدة ، وما زالوا يفكرون في كيفية انشائها وتنظيمها ثم ابرازها حقيقة من الحقائق الملموسة .

وما كان اشد تاثير هؤلاء العوام في فشل هذه القضيه الضرورية ، وما كان اسرع مافشاروح التخاذل في صفوف المخلصين لانهم اصطدموا بالصخرة اخيراً ووقفوا امام عقبة لو اجتازوها لتحقق مايصبون اليهم .

ولكن الوشايات والسعايات اخذت تعمل عملها وما هي الا ايام الا وقد عادت النجف الى خمولهـا والحركة العلمية الى جمودها واذا بنصيب كل اصلاح يرمي الى ايقاظ تلك الحركة هو الفشل الذريع واخذت الحال تتدهور وتتدهور حتى ان نفوس الغيـاري لتقشعر حين يتصورون النهاية المؤلمـة التي يتوقعونها لهذه البلدة المقدسة .

اقف عند هذا الحد وانا ارجوا ان تكون هذه النشرات فاتحة جديدة لاستئناف العمل على تحقيق الفكرة التي حاولوا تحقيقها فيما سلف .

سهدي المخزومي

وقال نعيت الينا انفسنا ورووا انه لم يمض اسبوع واحد حتى نزلت النازلة بالبرامكة .

والذي اعتقده ان أبانواس قصد التشاؤم لهم لأنه كان يحمل الحقد على جعفر بن يحي بدليل شعر ابي نواس في هجاء جعفر بما ليس هنا محل الاطالة بذكره والا فليس مثل ابي نواس يركب مثل هذا الشطط ولابنتبه لتجنب مايكره السامع ويتطير منه فيكون حاله في هذا كحال اسحق بن ابراهيم النديم الموصلي عند دخوله على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره في الميدان فينشده قصيدته التي مطلعها

يادار غيرك البلى ومحاك ياليت شعري ماالذي ابلاك

ويسبب البيت ان يهدم المعتصم القصر تشاؤماً بينما الاقرب الى الواقع ان يكون حاله كحال القطامي الذي جاء الى طلل بال ورسم خال فحياه فاحسن فقال :

انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل

وكيف لايكون الامر كما حسبت والجماز يقول في ابي نواس انـه اظرف الناس منطقاً واغزرهم ادباً واقـدرهم على الكلام واقصحهم لساناً واجودهم بياناً واعذبهم الفاظا واعلمهم كيف تكلمت العرب والجاحظ يقول لااعرف بعد بشار في المولدين اشعر من ابي نواس والاصمعي يقول مااروى لاحد من اهل الزمان مااروبه لابي نواس وابو عبيـدة يقول ابو نواس للمحدثين كامرئ القيس للاولين لانه الذي فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعاني وقـد ذهبت اليمن بمجد الشعر وهزله فامرئ القيس بجده وابو نواس بهزله وابن الاعرابي يقول ختمت بشعر ابي نواس فما رويت لاحد بعده وابو جعفر الشيباني يقول كان ابو نواس محكم القول لايخلط وابو حاتم يقول ان جد ابو نواس حسن وان هزل ظرف وان وصف بلغ والبحتري يقول لابنه يابني لو قسم احسان ابي نواس على الناس جميعاً لوسعهم وسفيان ابن عيينه يقول وقـد سمع قوله :

ما هو الاله سبب يبتدى منه وينشعب

آمنت بالله الذي خلقه، وابن السكيت يقول اذا